جامعة الموصل -
كلية الآداب

المنطلقات المعرفية لنقد ما بعد الأكاديمية

محمد سالم سعد الله

مقدمة:

تختلف الرؤى النقدية تجاه مستجدات الواقع الثقافيّ والمعرفيّ ، وتتنوع الصيغ الحُكْمية المواجهة للظواهر الإبداعية والحداثية والمتطورة ، وتتباين المراحل المنهجية للتقييم النقديّ انطلاقاً من خصوصية كل مرحلة فكراً وممارسة ومعالجة واشتغالاً ، حتى أمسى التكامل والتحاور بين المعطيات النقدية المتنوعة ضرباً من الاستحالة بسبب تباعد التوجهات ، واختلاف المعطيات ، وتنوع الآليات والإجراءات ، وتناقض النتائج .

يحوي الدرس النقدي مجالات عدة من الاشتغالات في التحليل والتأويل والتعليل والتنظير والوصف والتقييم .. إلخ ، ولكل مجال مسارات تؤطره سلباً أو إيجاباً ، إخفاقاً أو إحساناً ، ومن هذه المجالات ما عُرف لدى النقاد بـ(النقد الأكاديميّ) الذي نشأ في بيئة علمية تعليمية ، وساد في أروقة الدرس والمحاضرة ، وانتشر بانتشار المؤسسات التعليمية المتمثلة بالجامعات وما يتبعها من صروح للعلم وللمعرفة .

عُرِف النقد الأكاديميّ بسمات التقعيد المفاهيميّ ، والأسر الدلاليّ ، والروتين الوظيفيّ ، والانعزال الجماليّ ، والتوثيق القيميّ ، والتهميش النقديّ ، والاستهلاك النظريّ ، فضلاً عن المسار البرجوازيّ الذي يلف طرائق النقد الأكاديميّ واشتغالاته ، إلى جانب رصد مجموعة من التبعات والظواهر التي تعلقت به من قبيل غياب الجرأة في الطرح ، والابتعاد عن مظاهر التطوير والتحديث ، وتبعيته للمؤسسة التعليمية على حساب مرجعية الإبداع ، والإيغال في الانطباعية التي تجعل من الواقع النقديّ واقعاً للترف الفكريّ وليس مسؤولية علمية يُنتظر منها تقديم الجماليات والدلالات .

وعلى الرغم من انطباعات النقاد (الجاهزة منها والمتأملة) وآرائهم عن النقد الأكاديميّ الذي تصفه بالقواعدية والسلبية والتوجهات المكرورة ، لا بد من القول إن هذا النقد قدّم للمسيرة العلمية والمنهجية في الدرس النقديّ عبر عقود خلت مكونات تحليلية مناسبة للأصالة التي تبحث عنها الأطر المؤسساتية ، كما كانت الخطابات التي أنتجها تمثل تباشير للأبعاد النقدية التي تطورت فيما بعد واكتسبت الجرأة والتحرر من سطوة القيد الإداريّ والروتين الوظيفيّ .

يسعى بحثنا الموسوم بـ(المنطلقات المعرفية لنقد ما بعد الأكاديمية) إلى بيان المنطلقات المعرفية للمسيرة النقدية العابرة للأسوار الجامعية الأكاديمية ، وقراءة واقع النقد المتجاوز للنقد الأكاديميّ ، والمتحرر من سجن اللغة ومختبر الدلالة ، والمانح لخطابات جديدة من فضاءات الاشتغال المنهجيّ ، ضمن محورين اثنين : (الأول : إشكاليات النقد الأكاديميّ ، الثاني : معطيات النقد ما بعد الأكاديميّ) .

المحور الأول

إشكاليات النقد الأكاديميّ:

يسعى النقد بأطره المتنوعة إلى بيان الجماليات وكشف الدلالات ، وتختلف مساراته باختلاف البيئة المعرفية الحاضنة له ، ويصطبغ بمقولات تحدد آلياته واشتغالاته ، ولم يقتصر النقد في مسيرته الإبداعية على لون واحد من التفاعل مع النص أو القارىء ، بل تعددت طرائقه التحليلية بما يضمن قراءة واعية للنتاجات والأعمال الأدبية أو الفنية .

وانطلاقاً من تشعب النُظُم المعرفية التي تُسند النقد منهجاً واشتغالاً ، لجأ النقد إلى المؤسسة التعليمية الأكاديمية ليضمن سوراً علمياً يحيط بإجراءاته من جهة ، وليطمئن على النهج المحدد بقواعد صارمة من جهة أخرى ، ومن هنا نشأ النقد الأكاديميّ بوصفه المسار المنهجيّ المنضبط للتوجه الرسميّ في التعليم ، والقائم على نظرة منطقية تقليدية لا تقبل التحديث في كثير من المؤسسات .

وما دام النقد الاكاديميّ محدداً بتلك الأطر ، كانت الإشكاليات التي تعتري مسيرته كثيرة ومتشعبة وقد شُخصت عند العديد من النقاد على الصعيد العالميّ منهم على سبيل التمثيل لا الحصر : نقاد الشكلانية الروسية ، ورواد النقد النصيّ كـ(رولان بارت) ، و(جوليا كريستيفيا) ، و(جاك دريدا) وغيرهم .

وقد حدد الناقد (رونان ماكدونالد) مجموعة من الإشكاليات التي لحقت النقد الأكاديميّ ، منها إشكاليات معرفية تتعلق بتعزيز حقله المفاهيميّ ، وإشكاليات ثقافية تتعلق بطبيعته العلمية المقننة ، وإشكاليات مهنية تتعلق بعدم القدرة على تصنيف بعض الأعمال بين الجودة والرداءة[٧٥] .

ومن الإشكاليات المعرفية الأخرى التي تحدث عنها (ماكدونالد) علاقة النقد الأكاديميّ بالنقد الصحافيّ من جهة ، وبالنقد التقويميّ من جهة أخرى ، إذ ذكر ارتباط النقد الأكاديميّ ـ بوصفه عملية داخلية تُعنى بنفسها وتتمسك بالحكم والتقييم ـ بالنقد الصحافيّ بوصفه فعالية معرفية أكثر ديمقراطية وانتشاراً ، وأكد العلاقة الوثيقة بين النقد الأكاديميّ والنقد التقويميّ من حيث محدودية التأثير ، وممكنات التخصص[٧٦] .

ارتبط النقد الأكاديميّ بصيغ معرفية تأريخية حملت أنماطاً من السياقات المجتمعية المنضوية تحت السياق السياسي الأوسع ، وكان القصد تمكين البنى الفكرية وإتقانها للانماط التحليلية التي تهدف إلى إبداع المعرفة ونقلها ، وظهور مساحات اشتغال جديدة في المؤسسة التعليمية[٧٧] .

لكن العجز المعرفي سرعان ما أحاط توجهات النقد الأكاديميّ الذي ابتعد عن كشف الجماليات ، واتصف بالقطيعة مع النوع في مقابل الكم ، حتى أصبحت نتائجه قواعدية قيمية تراكمية مكرورة ، ودخلت منظومته المعرفية في ثنائيات جدلية عدة بين الأكاديميّ والإبداعيّ ، بين الضوابط والانفلات ، بين القيد والتحرر ، بين الصواب والخطأ ، بين الإنتاجية والاجترارية ، بين عمق التفكير وسطحيته ، ... .

إن المسار الذي أوقع النقد الأكاديميّ في شَرَك السلبيات التي تحدثنا عنها هو البحث عن المتطلبات المؤسساتية التي تفرضها السلطة في مساقات متنوعة لتجاوز مرحلة علمية ما ، حتى غدا الحرص على تنفيذ العملية النقدية بوصفها روتيناً علمياً وليست مهارة إبداعية .

وفي هذا السياق أثّرت قواعدية النقد الأكاديميّ في المؤسسة على مخرجات العملية التعليمية ، وأصبح التمسك بقيم هذه المعادلة فضيلة ، والخروج عنها مدعاة للانتقاد والتهكم ، نعم أصبحت مساراً للحفاظ على تراتبية الثبات في المؤسسة ، ومظهراً من مظاهر خصوصية الدرس الأكاديميّ بشكل عام .

وجدير ذكره أن معالجة إشكاليات النقد الأكاديميّ تحتاج رؤى تحديثية ، تمتلك أسساً علمية لتغيير الواقع النقدي في المؤسسة الجامعية التي كساها تكرار المقومات ، واجترار المقولات ، كما تحتاج إلى تفكير نقدي مدرِك لأهمية التعامل مع مسار نقدي أكاديميّ يزدان بالانفتاح والتنمية والتحديث .

لقد بات التوجه في الساحة النقدية العالمية اليوم بمناهجها ومدارسها واتجاهاتها ، متعلقاً بالتعامل مع النشاط النقدي على أنه ممارسة فكرية إنتاجية مبدعة وخلاقة ، لا تحتكم إلى التقليد في الطرح ، أو الانزواء في سور المؤسسة ، أو اجترار أزمان خلت ، بل تسعى دوماً إلى مواكبة حركة الإبداع نصاً وظاهرة ، وتقديم الإمكانات التحليلية المناسبة لكشف الجماليات ، وقراءة ما وراء الكلمات ، وتدشين رؤية مستقبلية استشرافية لواقع النقد من حيث تطوير آلياته ، وتنويع أدواته ، فالفضاء النقديّ "البحثيّ المتخصص ينمو مع إتاحة المزيد من الفرص لظهور أنواع جديدة من المعرفة"[٧٨] .

(٧٥) ينظر : موت الناقد ، رونان ماكدونالد ، ترجمة : فخري صالح : ١٩ ، ٩٢ .
(٧٦) ينظر : المصدر نفسه : ١٩ ، ١٢٨ .
(٧٧) ينظر : إعادة تشكيل الجامعة ، رونالد بارنيت ، ترجمة : شكري مجاهد : ٥٢ ــ ٥٣.
(٧٨) المصدر نفسه : ٢٠ .

أمام النقد الأكاديميّ مجموعة من الإشكاليات المعرفية تبدأ مع الإجراءات المتّبعة في المؤسسة التعليمية ، مروراً بالمتطلبات العلمية في القاعة الدراسية ، ولا تنتهي عند إعادة صياغة الأولويات المنهجية ، فالنقد مسيرة تزدان بالإبداع والموهبة والخبرة والتواصل والتأثير والتحفيز ، وإذا غابت عنه تلك الأسس جنح نحو الوعظية والإرشادية ، وركن إلى البحث عن المعالجات القواعدية ، وأصبحت نتاجاته الوصفية منها والتحليلية متعلقة بالمناسبات والمجاملات .

وإذا كان الحديث عن تطوير العمل في مجمل الميدان النقديّ الأكاديميّ ضرورة معرفية معاصرة ، فإن التوجه نحو إصلاح المؤسسة الجامعية ، وإعادة تشكيل مخرجاتها ، مطلب منهجيّ يسهم في إنهاء قطيعة القيميّ مع الجماليّ ، وإيجاد مجموعة من المحفزات للعمل على تغيير النمط الجامعي في تلقي الجهد النقديّ ، لأن المؤسسة الجامعية تسعى دوماً إلى الحفاظ على نسقها وثباتها وهدوئها في تقديم الجوانب الإنسانية ، ولا تغامر في اقتراح تقديم مفردات جديدة إلا بعد التمحيص والفحص والتشخيص الذي يستغرق زمناً ، ويأخذ مساحة واسعة من التفكير .

ومن الإشكاليات المعرفية الأخرى التي لحقت بمسار النقد الأكاديميّ أيضاً ضعف التواصل مع الفعاليات الاجتماعية ، والبعد عن الإسهام في إيجاد الحلول للأزمات التي تواجه النُظُم الإدارية في المؤسسات الاجتماعية والرسمية المتنوعة ، وقد أسهمت هذه الإشكالية في عزل النقد الأكاديميّ عن المجتمع وحصر نتائجه في رفوف المكتبة ، وعجز معطياته على إيجاد التطبيقات الناجعة .

وتنبع كل الإشكاليات التي اعترت مسيرة النقد الأكاديميّ من خصوصية الكتابة الأكاديمية التي تتصف بأسلوب واضح ومحدد بالمؤسسات والجامعات والباحثين وطلبة العلم ، وتعرف بسمات علمية منها : الموضوعية ، والبعد عن الذاتية ، والجدية ، والتصنيفية ، والقواعدية ، والتخصص ، ووضع الافتراضات ، والمنهجية ، والمسؤولية ، والوضوح ، والدقة ، والعقلانية ، والرسمية ، والسلامة اللغوية ، ومقارنة النتائج ، والحذر من التجديد ، والبعد عن المغامرة الإبداعية ، ... [٧٩] .

وقد أدرك المشتغلون في ميدان النقد الأكاديميّ أن هناك مسؤولية منهجية بإعادة النظر في سلوكيات هذا النقد ، وإعادة تشكيل مساراته بما يخدم التطلع نحو الانفتاح على النصوص الإبداعية من جهة ، والانفتاح على المجتمع والتواصل معه من جهة أخرى ، فضلاً عن استثمار الجهد الإنسانيّ في الأكاديميات المختلفة لتوجيه الإبداع ، وكشف جمالياته .

المحور الثاني

معطيات النقد ما بعد الأكاديميّ:

تشكل القواعد المعرفية المسارات الإجرائية والفاعلة في تحديد عمل النقد الأكاديميّ وتفعيل معطياته ، وتشخيص آلياته المنهجية في الحديث عن نتائجه ومخرجاته المترتبة مستقبلاً ، كما تسهم هذه القواعد في تنظيم معطيات المعالجات العلمية من حيث إيجاد الطرائق المُثلى للتعامل مع تفعيل النقد الأكاديميّ ، وتطويره بما يتعلق بإيجاد البدائل النقدية المناسبة .

تسهم المفاهيم المعرفية الحديثة في صُعُد متنوعة إنسانية منها وثقافية وتعليمية وأكاديمية ، في تطور الرؤى النقدية بشكل عام ، والنقد الأكاديميّ بشكل خاص ، وتنطلق هذه المفاهيم من مدونة تبدأ مع بيان التأثر ، وتسعى لتحديد السمات ، وتلجأ لتشخيص العوامل ، وتنتهي بتقديم آليات نقدية وأحكام بنيوية تسهم في تطور الرؤى المنهجية في مرحلة ما بعد الأكاديمية .

تعالج الرؤى المنهجية هنا دراسة الفرضيات الموضوعة في حلّ الإشكاليات المتعلقة بالأزمات المعرفية للنقد الأكاديميّ ، وتقدم مساراً علمياً منهجياً نقدياً في التعامل مع مرحلة ما بعد النقد الأكاديميّ ، وانتقال المعطيات المعرفية من البُعد السلبيّ للنقد الأكاديميّ ، إلى البُعد الإيجابيّ لما بعد الأكاديمية .

([٧٩]) تجليات النقد الأكاديميّ ، فايزة مليح ، أطروحة دكتوراه : ٢٠ .

إن الحديث عن معطيات ما بعد الأكاديمية يسهم في تحقيق أهداف علمية تخلص النقد من قطيعته المنهجية ، وتناقش مفاهيم الأزمات النقدية وأثرها في اكتساب المعرفة ، وتشخص مقدمات الخلل ودورها في الإشكاليات ، وشرح الجوانب الإيجابية والسلبية في البنية المعرفية الأكاديمية ، وتصنيف مفاهيم النقد ما بعد الأكاديمية بين العوامل والفواعل ، فضلاً عن فهم الأبعاد الاستشرافية للمعطيات المعرفية للنقد بعيداً عن الأكاديمية .

ستكون الرؤى المنهجية للنقد ما بعد الأكاديميّ محملة بطاقات إيجابية للوضع الحداثي للنقد ، من حيث الابتعاد عن كل المؤشرات التي تحدثنا عنها في الإشكاليات ، كما ستقدم معطيات معرفية لمساقات أكاديمية معاصرة انطلاقاً من التجدد الحاصل في الهرم الثقافيّ والعلميّ لكثير من المؤسسات التعليمية العالمية ، فضلاً عن قيم التغيير التي يسعى إليها كثير من النشاطات المعرفية الدولية .

ولمناقشة الوضع المعرفيّ لما بعد الأكاديمية لا بد من الحديث عن مراحل تدريجية للوعي المنهجيّ المتعلق بآليات التعامل مع الماضي والحاضر والمستقبل ، أي مع الخبرة الأكاديمية من جهة ، والواقع العلميّ من جهة ، والتطلع نحو التغيير من جهة أخرى على الترتيب .

فالخبرة الأكاديمية تزادن بالتراكم المعلوماتيّ ، والثبات الإجرائيّ ، والواقع العلميّ يزدان برؤى طموحة لتقديم الأفضل علمياً وحضارياً ، والتطلع نحو التغيير مزدان بالسعي نحو تجديد البناء الفكريّ والتلاقح المنهجيّ ، والاستمداد من منابع جديدة للتأثير في السلوك الجامعي المنشود[٨٠] .

وإذا أراد النقد الخروج من المسار التقليدي للميدان الأكاديميّ فعليه معالجة أوجه القصور في معطياته ، والانفتاح على القوة الثقافية التي تمتلك التأثير في الساحة المعرفية المعاصرة ، وقد تحدث بعض النقاد عن مسارات القِوى التي تمتلك أثر التغيير في الجانب العلميّ بشكل عام ، والجانب الثقافيّ والمعرفيّ منه بشكل خاص ، فشبكات الاتصال والتواصل بين المختصين والعلماء تؤثر في اقتراح الأفضل ، ويسهم بناء المعلومات الجديدة وتدارسها وتقييمها في البناء النقديّ ، ويُشكل نشر الأفكار والمعرفة والمعلومات وصولاً إلى الموارد طريقاً منهجياً منضبطاً ، ثم أن توزيع المهام والأدوار بين مختلف التوجهات المعرفية المعاصرة يغني تطلعات التغيير والتطوير[٨١] .

إن مسؤولية المعطيات النقدية في مرحلة ما بعد الاكاديميّة تنهض على منهجية مقترحة تعتمد على مبدأ (التكامل المعرفيّ) لأنه قضية منهجية مرتبطة بالنشاط الفكري ، والممارسة البحثية ، وطرائق التعامل مع الأفكار[٨٢] ، ويرتبط التكامل المعرفيّ بالوعي المنهجيّ ، وهو ضرورة متعلقة بالفهم التفصيليّ ، والإدراك الكليّ لطبيعة الواقع ومشكلاته ومتطلباته وفق تخطيط منهجيّ هادف ، ويتعلق هذا التخطيط بتحديد الدلالة المباشرة لمفهوم التكامل ، والتعامل مع أهداف التوجهات النقدية ومضامينها ، والتفاضل في شروط تحقيق التكامل المعرفيّ[٨٣] ، فضلاً عن تحديد الخصائص الفكرية المتعلقة بالتفكير المقاصدي فهماً واستيعاباً ، والتفكير الذي يربط التحليلات بأسبابها ونتائجها ، والتفكير العلميّ المتعلق بالبحث المتواصل عن البدائل ، والتفكير الاستراتيجيّ الاستشرافيّ[٨٤] .

وانطلاقاً من طبيعة النقد المتغيرة ، يحتاج مقترح التكامل المعرفيّ في مرحلة ما بعد الاكاديمية إلى الانفتاح على كشوفات ميدانيّ ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمارية اللذين فجرا إمكانيات مهمة في استثمار المعرفة على صُعُد كثيرة ، منها الجوانب النقدية التي دخلت فضاءات من النظريات والمعطيات والتحليلات ، بدءاً من النظريات النصية مروراً بنظريات ما بعد النصية ، وليس انتهاء بالنقد الثقافيّ والتداوليّ والتفاعليّ والنسويّ وغيرها ، ولا شك إن المؤسسة التعليمية تردد كثيرا في ولوج الجوانب المعرفية غير المستقرة أو ما

(٨٠) للاستزادة ينظر : النقد في أحضان الجامعات ، مسعد العطوي .
(٨١) ينظر : نشوء الأكاديمية العالمية الخفية ، كارولين فاغنر ، ترجمة : أحمد حيدر : ٢٢ - ٢٣ .
(٨٢) منهجية التكامل المعرفي ، فتحي الملكاوي : ٢٧ .
(٨٣) ينظر : المصدر نفسه : ١١٨ ، ٢٩١ .
(٨٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

زالت في طور النقاش والمتابعة ، حرصاً منها على استقرار المعطى العلميّ ، وثبات الأس المنهجيّ ، وتوخي المعرفة المُطبّقة على ميدان الواقع .

وعند الحديث عن مرحلة ما بعد الأكاديمية لا بدّ من وضع خطوط فاصلة بين الجامعة من جهة ، والأكاديمية من جهة أخرى ، فالجامعة مؤسسة تعليمية سلطوية تتعلق بهرم إداريّ ، وترتبط بنشاط فكريّ ومنهجيّ وعلميّ محدد وواضح المعالم ، في مقابل الأكاديمية التي تفرض طرائق معرفية للاشتغال المنهجيّ الجامعيّ ، وترسم ميادين التعامل مع المستجدات والتطورات والفرضيات ، وتتعلق بمتطلبات الواقع العلميّ الذي يقدمه المختصون في حقل ما ، والعلاقة بين الجامعيّ والأكاديميّ علاقة طردية بين خصوص وعموم على الترتيب ، فتطور الواقع الأكاديميّ ينعكس إيجاباً على تنمية الواقع الجامعيّ ، ومتى ما تراجعت الأكاديمية عن دورها المؤسس للفرضيات والباني للمقترحات ، عانت الجامعة من تراجع الإبداع الجماعي ، وتذبذب النتاج الفردي .

وانطلاقاً مما ذكر ، تجد الجامعات نفسها بحاجة ماسة إلى إعادة تصميم برامجها بما يخدم التوجهات الأكاديمية ، والتطلع نحو مرحلة تبذل فيها الجهود ، وتتوفر فيها الإرداة العلمية لتحقيق مقترحات التكامل المعرفيّ ، وتجاوز معوقات الفهم ، وتفعيل دور التفكير النقديّ في مناقشة معطيات التحديث[٨٥] ، وفي الوقت نفسه تحتاج المعطيات المعرفية المستجدة إلى تحصين بنائها الحضاريّ ، من حيث تحصين منظومتها التعليمية والتعلمية ، واكتساب رؤى جديدة لواقع التعليم بوصفه رهاناً من رهانات التنمية البشرية لحاضر الأمم ومستقبلها[٨٦] ، وعند إصلاح واقع منهجية التعليم الجامعيّ ، ستتحقق التكاملية المعرفية المنشودة .

لقد عُرِف النقد عبر مراحل تطوره بالثورة على الثوابت ، وتستند الدورة المعرفية لولادة النقد ومناهجه المتنوعة إلى معطى (الفعل ، ورد الفعل) ، فكل مسار نقديّ وليد ، كان يمثل رد فعل على مسارات نقدية سابقة ، وعندما يستقر هذا المسار يتحول إلى محفز لولادة مسار نقديّ آخر ، فالنقد السياقيّ الذي اعتمد على خارجيات النص في كشف جماليته ، كان ثورة معرفية على التوجهات الكلاسيكية العقلية في تفسير النص وتحليله ، والنقد النصيّ الذي اعتمد على البناء الداخلي للنص في بيان دلالاته ، كان ثورة معرفية على التوجهات النقدية السياقية ، والنقد ما بعد النصيّ الذي اعتمد على المتلقي في تأويل النص وتعليله ، كان ثورة معرفية على التوجهات النقدية النصية ، ويمكننا القول إن النقد ما بعد الأكاديميّ الذي سيعتمد على الكشوفات المنهجية في التكامل المعرفيّ ، والتداخل بين العلوم والفنون ، سيكون ثورة معرفية على التوجهات النقدية ما بعد النصية .

إن المعطيات النقدية في مرحلة ما بعد الأكاديمية ستكتسب محفزات معرفية عدة انطلاقاً من الحاجة الملحّة في تطوير الأدوات الجامعية ، وعدم الاكتفاء بالمعرفة التخصصية[٨٧] ، وتقديم مرئيات منهجية لمستقبل الدراسات النقدية الحديثة ، وكما دعى بعض النقاد في ميدان تحديث الدراسات الجامعية إلى تبني مسار (الفقه الحضاريّ) المتطلع إلى استدعاء المنهجية الحضارية ذي الهوية الفكرية من أجل استمداد مؤشرات المعرفة في الحاضر والمستقبل ، والمشاركة في رسم المصير الثقافيّ والمعرفيّ الإنسانيّ[٨٨] ، يمكننا أيضاً حمل تلك الدعوى إلى الحديث عن (الفقه النقديّ) الذي يستدعي تراكماً من الممارسات والدراسات والفرضيات والمنهجيات والآليات للانتفاع منها في بناء المنظومة المعرفية للسلوكيات النقدية المنشودة في مرحلة ما بعد الاكاديمية .

(٨٥) ينظر : مفاهيم التكامل المعرفيّ ، فتحي الملكاوي ، ضمن كتاب : التكامل المعرفيّ أثره في التعليم الجامعيّ وضرورته الحضارية ، تحرير : رائد عكاشة : ٤٩ ــ ٥٠ .

(٨٦) ينظر : ضرورة التكامل المعرفيّ ، عقيلة حسين ، ضمن كتاب : التكامل المعرفيّ أثره في التعليم الجامعيّ وضرورته الحضارية : ٢٣٥ ، ٢٤٨ .

(٨٧) ازدواجية التعليم الجامعي : مرئيات للخروج من الأزمة ، عماد الدين خليل ، ضمن كتاب : التكامل المعرفيّ أثره في التعليم الجامعيّ وضرورته الحضارية : ٧١٨ .

(٨٨) ينظر : المصدر نفسه : ٧٣٩ .

وانطلاقاً من طبيعة المشروع الجامعيّ في التحيز[٨٩] لأصول منشئه وبيئته وسلطته ، ستواجه المنظومة النقدية الحديثة ثيمات عدة تبدأ من المسار التوجيهيّ للأكاديمية ، مروراً بتجاوز تحديات العولمة الثقافية ، وصولاً إلى السعي نحو تحويل المقاصد المنهجية من تمرير المعرفة إلى إنتاجها[٩٠] ، ومن اجترار المعلومة إلى ابتكارها ، ومن التقليد في التعليم إلى التنافس في الكشف والإنجاز .

كما ستسهم المنظومة النقدية ــ انطلاقاً من فرضية التكامل المعرفيّ ــ في معالجة كثير من المشاكل التي اعترت المسيرة النقدية منها فوضى المصطلحات ، وغياب التوافق المنهجي في بيئات عدة ، والاجتهاد في تناول المعطيات ، والاختلاف في فهم المقاصد ، فضلاً عن الإسهام في تحديد منهجية التعامل مع النصوص الإبداعية بعيداً عن العوائق التي قيّدت التحديث النقدي من قبيل : (التمسك بالمألوف ، والخوف من المجهول ، والثبات في سياسة فلسفة التدريس وطرائق التحليل ، ومحاربة التغيير ، والاطمئنان إلى استقرار مناهج المعرفة والتعليم)[٩١] .

وفي الإطار نفسه سيكون للمنظومة النقدية ما بعد الأكاديمية دور في قيادة الوعي الإنسانيّ وتعميق تجربته الإبداعية والإسهام في بلورة توجهاتها مرتكزة على خصوصية في الطرح ، وفرادة في المعالجة ، وتمايز في التحليل ، وقد منح هذا التوجه النقديّ حدوداً مؤطرة بالاشتغالات الفكرية والفلسفية ، فعُرفت عبرها الذات المنتِجة (الأنا) واتضحت بالاختلاف والاستيعاب الذات المستقبِلة (الآخر) .

ونظراً للإشكالية المتعلقة بالتعدد الثقافيّ ، والانتماء المعرفيّ ، والتصور الايديولوجيّ ، ستتجه الدراسات النقدية في مرحلة ما بعد الأكاديمية إلى تفعيل تداخل النقد مع العلوم والفنون والمعارف ، وتحقيق التوازن بين الذوات المعرفيـة ، ومحاولة وضع النتاجات الحضارية في ميادينها التي أُنتجت فيها دون تغييب أو إقصاء أو تهميش ، فضلا عن دراسة التجارب النقدية للآخر ، ومعطياته الحضارية ضمن احترام الحواجز الثقافية بين الحضارات أولاً ، والاعتراف بالمنجزات التأريخية ثانياً ، وتسجيل المواقف النقدية التحليلية ثالثاً ، التي تسهم في اقتناص المكاسب والتأثر بها ، وتحديد المزالق وتجاوزها ، ويعكس هذا التوجه المعرفيّ إمكانية التعامل النظريّ والتطبيقيّ الجامعيّ مع مستجدات الدرس النقديّ .

الخاتمة :

اكتسب الحديث عن المنطلقات المعرفية لما بعد الأكاديمية أهمية بالغة تتعلق بميدان إعداد الرؤى العلمية البارزة في إنعاش الحركة النقدية والمعرفية والثقافية في الوسط الاكاديميّ ، وتنشيط دورها بما يتناسب مع حاجة المجتمع ومتطلباته ، ينظمها حشد من أولي الخبرة والمعرفة والكياسة .

وفي هذا السياق علينا معرفة أن الوعي المؤسساتي لما بعد الأكاديميّة يتجه إلى تنظيم خبراته وفقا لأجندة علمية دأب على رسمها ثلة من المختصين والمبدعين في حقول مختلفة منهجها تحديد الركائز الأولى في تنظيم المسيرة العلمية ، وغرضها إيجاد السبل الكفيلة بدفع النتاج المعرفيّ ، وهدفها المنهجيّ تحويل الظاهرة إلى تعليل ، وتفعيل السلوكيات عن طريق التحليل .

وإذا كان المشروع العلمي للبحث في الجامعة ينطلق من الثوابت السابقة ، فإن دور الجامعة لن يؤطر بصيغ مدونة ومثالية لا تجد لها صدى ، فدور البحث العلميّ في الجامعة هو دور بنائي أولاً عبر بناء الهرم العلميّ القائم بمهمة النهوض بالمجتمع ، وله دور تفاعلي ثانياً عبر الدخول في فعاليات المجتمع ومؤسساته ، فضلا عن دوره الريادي في صياغة عقول متفتحة تدعو إلى احتضان المعرفة وتطوير العلم وبناء قيم الإنسان وفقا لمبادىء الحرية التي من المفترض أن يكون مزداناً بها .

(٨٩) الجامعة المعاصرة ، روجر كنج ، ضمن كتاب : الجامعة في عصر العولمة ، تحرير : روجر كنج : ٣٨ .
(٩٠) العولمة والجامعة ، روجر كنج ، ضمن كتاب : الجامعة في عصر العولمة : ١٠٥ .
(٩١) ينظر : متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي ، السعيد عواشدية ، ضمن كتاب : التكامل المعرفيّ أثره في التعليم الجامعيّ وضرورته الحضارية : ٧٩٨ - ٨٠٠ .

إن القناعة بدور الجامعة الريادي في قيادة المجتمع وبناء أسسه النقدية والمعرفية والعلمية تقود إلى مفهوم تحقيق الفكر التنويريّ بشكل عام ، والفكر النقديّ بشكل خاص ، وتسند لنفسها مهمة إيجاد الحلول للمشاكل القائمة ، ثم تحفيز البنية النفسية للأفراد عن طريق المشاركة في الجهد المبذول فيها ، ولن يكون ذلك إلا بتقديم التفكير العلميّ والنقديّ الرصين ، وحتى يتحقق هذا الأمر علينا مناقشة واقع هذا النقد وما يعانيه في الرواق الأكاديميّ ، والسعي نحو معالجة مشكلاته ، وتوجيه الحلول المعرفية المناسبة .

المصادر والمراجع:

أولاً : الكتب العربية والمترجمة :

ـ إعادة تشكيل الجامعة : علاقات جديدة بين البحث والمعرفة والتدريس ، رونالد بارنيت ، ترجمة : شكري مجاهد ، مراجعة : عبد الله أبو الكباش ، مكتبة العبيكان ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٩ .

ـ التكامل المعرفيّ : أثره في التعليم الجامعيّ وضرورته الحضارية ، تحرير : رائد عكاشة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ـ نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط١ ، ٢٠١٢ .

ـ الجامعة في عصر العولمة ، تحرير : روجر كنج ، ترجمة : فهد بن سلطان السلطان ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٨ .

ـ منهجية التكامل المعرفيّ : مقدمات في المنهجية الإسلامية ، فتحي الملكاويّ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ـ نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط١ ، ٢٠١١ .

ـ موت الناقد ، رونان ماكدونالد ، ترجمة : فخري صالح ، ، سلسلة المشروع القومي للترجمة (٢٢٢٦) ، دار العين ، والمركز القومي للترجمة ، القاهرة ـ مصر ، ط١ ، ٢٠١٤ .

ـ نشوء الأكاديمية العالمية الخفية : الشبكة الجديدة بين الباحثين والعلماء ، كارولين . س . فاغنر ، ترجمة : أحمد حيدر ، تقديم : فرانسيس فوكوياما ، الدار العربية للعالوم ناشرون ، بيروت ـ لبنان ، ومركز البابطين للترجمة ، الكويت ، ط١ ، ٢٠١١ .

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية :

ـ تجليات النقد الأكاديميّ عند محمد مصايف : مقاربة استقرائية ، فايزة مليح ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : أ.د. محمد بلقاسم ، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبي بكر بلقايد ، الجزائر ، ٢٠١٦ ـ٢٠١٧ .

ثالثاً : البحوث المنشورة على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنيت) :

ـ النقد في أحضان الجامعات ، مسعد العطوي ، موقع (www.alaluka.com) .